جدة المكان والمكين

زيد الفضيل

(باحث في التاريخ)

@zash113

في المجلد الثقافي بموسوعة جدة العلمية، وهي موسوعة شاملة قام بكتابتها نخبة من الأساتذة الأكاديميين، سلطتُ الضوء على جوانب متعددة من سمات المجتمع الثقافي وشخصياته بجدة التاريخية، علاوة على قيامي بتتبع ورصد الحراك العلمي التعليمي والصحفي والأدبي ومختلف الفنون الأدائية من مسرح وغناء وفلكلور، إلى جانب الفنون البصرية كالتصوير الضوئي والفن التشكيلي، وغير ذلك مما يمكن أن يصب في خانة الثقافة بتعريفها الواسع. وأثمر كل ذلك عن حصيلة معرفية مهمة أخال أنها عكست قيمة مدينة تاريخية عريقة تم تدشينها كميناء رسمي لمكة المكرمة في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عام 26 للهجرة.

ما يدعوني إلى الابتداء بهذه المقدمة راجع إلى إحساسي بحالة التيه التي تمر بها مدينة جدة التاريخية ولا سيما مع توالي المهرجانات التي ارتبطت بها، حيث اقتصر التعريف بجدة البلد على جانب واحد من جوانب الثقافة بمفهومها الواسع وهو الجانب الغذائي، هذا في حال لو كان ما يتم عرضه وبيعه من المأكولات تراثيا؛ كذلك اختزلت المدينة ببعض البيوت التي قدر لها أن تكون في الواجهة البصرية سواء في حارة الشام أو المظلوم أو اليمن، ودون أن يكون لها أو لأصحابها المالكين لها سابقا وحاليا أي دور محوري على الصعيد المعرفي أو الاجتماعي، مع إقراري بفضلهم على الصعيد الإنساني بوجه عام، إذ في كل خير.

على أن قيمة جدة وعراقتها لا يمكن اختزالها بما سبق، فقيمة المكان من المكين، وأقصد بالمكين هنا أي: تلك الروح المبدعة التي سكنت المكان، ومدينة جدة البلد تحوي بين جنباتها الكثير من الحكايات التاريخية المهمة لأناس أبدعوا وتجلت أرواحهم معرفيا وفنيا واجتماعيا أيضا، وهو ما يجب أن يبرز للزائر، ذلك الذي يتشوق لمعرفة بعض جوانب التاريخ الحضاري للمدينة حال تجواله في أروقتها ودهاليزها، وكم يؤسفني حالة التغافل عن ذلك القائمة حتى الآن.

كم كنت أرجو أن يتعرف ضيوف مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي على قيمة بيت الشريف المهنا المطل عليهم بشرفاته الجميلة ومنظره الزاهي والذي آل بالشراء مؤخرا لأسرة الشربتلي، حيث حوى عددا من الشخصيات السياسية والثقافية البارزة، ومنهم الوزير طلعت حرب الذي عرف بلقب «أبو الاقتصاد المصري»؛ والأمر يمتد لبيت زينل المطل أيضا على واجهة المهرجان، والذي يعرف باسم «بيت أرامكو»، وحتما فلن تستطيع المدينة تجاوز أحد أبنائها الرئيسيين الذين تركوا بصمة خالدة في وجدانها التاريخي وهو الحاج محمد علي زينل الذي أسس مدرسة الفلاح عام 1903م ولا يزال مبناها قائما حتى الآن، وكذلك الحال مع المبنى الذي افتتحه الملك سعود عام 1954م؛ وبحكم الحديث عن مدارس الفلاح بجدة وجهد من شارك في تأسيسها فلا يمكن إغفال دور عبدالرؤوف جمجوم وأخيه محمد صالح جمجوم في استمرار المدارس وبخاصة من بعد تعرض الحاج زينل لأزمة مالية خانقة أواخر عشرينيات القرن الـ20م، والسؤال: ألا يجب أن تتصدر الفلاح، ومنزل مؤسسها الحاج زينل والأخوين جمجوم قائمة المواقع التي يتم الإشارة إليها وزيارتها حال التعريف بالمدينة التاريخية؟

أشير إلى أن المدينة قد احتضنت كثيرا من الشخصيات البارزة على الصعيد الوطني والذين تركوا بصمة واضحة في مشهدنا الثقافي على الصعيد المعرفي والغنائي وغيره، ومن يتجول في كتاب «أعلام الحجاز» لمحمد علي مغربي سيدرك ما أقول، وسيجد تعريفا بكثير من الشخصيات التي سكنت جدة البلد وتستحق التعريف بها وبيان مسكنها على أقل تقدير، ومنهم من عاصرهم جيلي كالأديب محمد حسن عواد، والشاعر حمزة شحاتة، وثلاثي جدة الذين حفظوا جزءا كبيرا من التراث اللغوي للمدينة العتيقة، وأقصد بهم الشاعرة ثريا قابل والموسيقي المطرب فوزي محسون وثالثهما الشاعر صالح جلال، هؤلاء جميعا وغيرهم كانوا ممن سكن المدينة العتيقة وقدموا فيها كثيرا من إبداعاتهم التي لا نزال نستمتع بقراءتها والغوص في أفانينها الأدبية والمعرفية، ولا تزال أفئدتنا تتمايل مع تلك الكلمات الرقيقة التي شدا بها فوزي محسون ورفاقه، وبالتالي ألا يستحق أولئك أن يتم التعريف بهم وبيان مواطن سكنهم أيضا، وليس مهما أن تكون بيوتهم فاخرة ليتم إبرازها، فقيمة المكان من المكين كما يقال.

واقع الحال فالقائمة تطول وتتنوع بين شخصيات عاشت وأخرى وفدت، ومواطن زكت بمن مر عليها من أهل الله والصالحين، وباتت شاخصة بكيانها حتى اليوم تنتظر من يزيل عنها ركام الغفلة والتغافل، وكل ذلك يصب في قيمة جدة التاريخية ويجعل منها مركزا سياحيا مهما تفد إليه النفوس الباحثة عن عبق التاريخ وعمق المكان وأصالته، وهي قيمة مضافة لا يدرك قيمتها سوى العارفين، وقليل ما هم! وكم أرجو أن تهتم وزارة الثقافة بما أشرت إليه، ويدرك مسؤولوها بأن قيمة المكان من قيمة وأصالة وجوهر أهله، والله المستعان.

النمو الذكي للمدن!

وليد الزامل

@waleed_zm

لقد عانت العديد من المدن في الدول النامية من التوسع الحضري الأفقي والذي أثر سلبا على مركز المدينة وأسهم في تباعد أطرافها وصعوبة الوصول بين أجزائها، وأدى هذا التوسع الأفقي إلى تنامي العمران على حساب الموارد الطبيعية كالأودية والمناطق الزراعية والمناطق المفتوحة في المدن، كما تأثر توزيع الخدمات والمرافق نتيجة التوسع الحضري المتلاحق، وأصبحت الحاجة ماسة لتوفير أكبر قدر من الخدمات والبنى التحتية لتلبية احتياجات الأحياء السكنية ذات الكثافات المنخفضة والمجتمعات العمرانية المتناثرة، وهكذا أضحت بدائل النقل الأخرى كالحافلات والقطارات غير مجدية نتيجة الكثافة المنخفضة للتجمعات العمرانية وتشتت الخدمات ومراكز الأعمال والأنشطة التجارية.

يعرف النمو الذكي للمدن Smart Growth بأنه تخطيط وتصميم وتطوير المجتمعات العمرانية لتعزيز العدالة الاجتماعية، وخلق الشعور بالمكان والحفاظ على الموارد الطبيعية والثقافية وحل إشكالية الانتشار الحضري Sprawl. يسعى النمو الذكي لاستيعاب التنمية بإيجاد المواقع المثلى للتوسع العمراني واستغلال الأراضي داخل المدن لتوفير خيارات وبدائل تتلاءم مع كافة شرائح المجتمع.

ويعد النمو الذكي علاجا للزحف العمراني التقليدي والذي يصاحبه توسع في مساحة المدينة وتطوير أحياء سكنية جديدة بشكل غير مستدام يسيطر عليها استخدام السيارات وخيارات الإسكان المنفصلة. من هذا المنطق، يعزز النمو الذكي السلامة البيئية على المدى القصير والطويل، ويسهم في تحسين نوعية الحياة للجميع من خلال توسيع نطاق خيارات النقل والتوظيف والإسكان في المنطقة العمرانية بطريقة رشيدة. يناقش النمو الذكي قضية التطوير العمراني من الناحية الكمية والكيفية وذلك بتحديد التموضع المناسب لهذا التطوير الذي يتلاءم مع الحد الأدنى من الآثار السلبية على البيئة والموارد.

يعتمد النمو الذكي على مجموعة من المبادئ في التخطيط العمراني والتي تسعى في مجملها إلى تحقيق الإدارة المسؤولة للنمو العمراني بشكل يتماشى مع الاحتياج المتوقع والموارد المتاحة. ويضمن النمو الذكي إعادة التوزيع الأمثل لاستعمالات الأراضي في المدينة ومنع الانتشار غير المدروس للاستعمالات الضارة بالبيئة أو تلك الاستعمالات غير المرغوبة من السكان في الأحياء السكنية NIMBY. ولا تسعى سياسات النمو الذكي للحد من النمو العمراني أو كبح توسع المدينة؛ بل التحول نحو بدائل ذكية لاستيعاب هذا النمو.

تتطلب المدن مناهج مختلفة لإدارة التنمية ومعالجة اتجاهات وحجم النمو العمراني. نظريا، هناك بعض المبادئ المشتركة التي يسعى لها النمو الذكي وهي حماية الموارد الطبيعية والحفاظ على المساحات المفتوحة؛ وتوفير بدائل مختلفة للتنقل من شأنها تخفيف الازدحام المروري وتقليل الطلب على السيارة وتطوير أحياء سكنية جذابة وتشجع على المشي؛ والاستثمار في الأحياء السكنية من خلال تنويع أنماط التخطيط ومساحات قطع الأراضي وتوجيه التنمية نحو الأحياء القائمة بإعادة تطويرها كأماكن صالحة للسكن.

كما يسعى النمو الذكي إلى تعزيز الشعور بالمكان والارتقاء بنوعية الحياة، والتأكد من أن عملية التنمية يمكن التنبؤ بها وسهولة التنقل فيها، وتوفير خيارات السكن والمواصلات لجميع فئات الدخل مع تشجيع التكامل الاقتصادي والعرقي. وعلاوة على ذلك، تعزيز التنسيق بين الجهات ذات العلاقة وتعاون جميع أصحاب المصلحة في قرارات التنمية، وتوسيع نطاق استعمالات الأراضي المختلطة، والحفاظ على الموارد التاريخية والمساحات المفتوحة والأراضي الزراعية والمناطق البيئية واستثمارها. وأخيرا ضمان إنفاق المال العام بكفاءة بحيث تتماشى خطط النمو العمراني اليوم مع حقوق الأجيال القادمة، فهل تتماشى مدننا اليوم مع مبادئ النمو الذكي؟

جولة ولي العهد الخليجية: هنا الرياض

طلال الحربي

@alharbi1

ليس بالأمر الغريب ولا المستبعد أن تكون هنالك زيارات متبادلة بين زعماء ومسؤولي دول الخليج العربي، وهذا أمر اعتدناه ونعرفه جيدا، لكن حين يكون صاحب الجولة هذه المرة ولي العهد السعودي سيدي صاحب السمو الملكي محمد بن سلمان يحفظه الله، وتكون لكافة دول الخليج دون استثناء، فالأمر لا بد أن نقف عنده ونتبين بعضا من ملامحه وأهدافه ونتائجه، لعلها جولة خاطفة سريعة، ولكنها أتت في التصريحات الإعلامية الرسمية عنها، بشكل مختلف ومغاير عن أية جولات وزيارات خليجية أخرى.

الزيارة إلى مسقط كانت بمثابة التوثيق الدقيق لكل ما هو متفق عليه بين البلدين الشقيقين، رغم ما كان منذ فترة قريبة من تصريحات لبعض المسؤولين العمانيين السابقين، إلا أن زيارة ولي العهد لمسقط ولقاءه بسلطان عمان، تأكيد قوي على أن قوة العلاقة بين البلدين أكبر من أية أمور أخرى، ليأتي الاتفاق على عقد اتفاقيات اقتصادية بالمليارات بين البلدين، تأكيدا على أن محمد بن سلمان لا يعمل فقط لمستقبل السعودية، بل هو ينظر للقاعدة الرئيسية الأقرب، وهي منظومة دول مجلس التعاون الخليجي، وأن ازدهار المستقبل السعودي لا بد أن يرافقه ازدهار مستقبل الخليج كله. زيارة قطر كان لها معنى آخر، وهذه سياسة سعودية جديدة تعودنا عليها منذ تولي سيدي خادم الحرمين الشريفين الحكم في المملكة، وتأكد بكل وضوح بعد تولي سيدي محمد بن سلمان مهامه كولي للعهد، نعم الرياض لا تقبل الأخطاء ولا الانحرافات، ولا تقبل بأنصاف الحلول، وإما اتفاق وثقة وإما السلامة أزين، ولكن السعودية كدولة عظمى، حين تجد منفذا أو بابا يمكن أن يحقق الهدوء والاستقرار فإنها فورا تدخله وتقدم عليه، وقطر ورغم كل ما حدث فإن الرسالة السعودية كانت وما زالت واضحة: موقفنا كان من قطر لأجل قطر ولضمان استمرار علاقة البلدين القوية لمستقبل أفضل للجميع، لهذا فإن زيارة ولي العهد للدوحة تأكيد على أن السعودية قادرة على حل أي خلاف داخل البيت الخليجي العربي الواحد. الإمارات والكويت والبحرين، هذه الدول الشقيقة الثلاث التي واقع الحال يقول إن هنالك تطابقا في وجهات النظر بينها وبين السعودية، وإنهم جميعا متفقون كل الاتفاق، وهنالك تنسيق مستمر دائم بينهم، لهذا وجدنا أن تعتبر زيارة معززة وموضحة لأهم ما جاء من نتائج في زيارات مسقط والدوحة، خاصة للإمارات والبحرين، لأن الكويت هي من قادت حملة إصلاح ذات البين إبان بداية الخلاف الخليجي، وبالتالي فإن الكويت تعتبر شريكا أساسيا للمملكة في دعم واستقرار وحل خلافات دول الخليج العربي.

لا شك أن الفكر الذي بدأ العمل به ولي العهد سيدي محمد بن سلمان، قد بدأ فعليا بأخذ طابع الرسمية والقبول لدى كل دول الخليج وشعوبها، ما شهدته المملكة في الخمس سنوات الأخيرة من تطور هائل، وما ستشهده خلال السبعة أعوام القادمة، جعل شعوب الخليج تطالب بتطبيق ما يشابه رؤية المملكة 2030 بما يتناسب وظروفها واحتياجاتها، ولا نريد أن يعتب علينا أشقاؤنا في الخليج، فنحن نعلم جيدا أنهم في أمور عديدة كانوا سباقين ومتقدمين، ولكننا اليوم نتقدم صعودا في كل المجالات، دون أن ننكر رواد التقدم والتطور، وهذا أمر سبق وأكد عليه سيدي محمد بن سلمان في أحد مؤتمراته حين وجه الحديث لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم، مؤكدا أنه من صناع التطور في الخليج والعالم كله، وأنه قدوة للجميع.

هنا الرياض.. أصبحت ترندا عالميا، وأصبح المحيط الخليجي حولنا ينظر إلينا بنظرة المقارنة، وهنا يأتي دور محمد بن سلمان في ظل حكم صاحب الحزم والعزم والحكمة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظهما الله، أن الأمر بين دول الخليج لا بد أن يكون تعاونا وتشاركا وتكاتفا وليس تنافسا أو تسابقا، فالسعودية ملتزمة تجاه وطنها الخليجي، والسعودية كانت وما زالت صاحبة الموقف الذي لا يلين: يا كلنا معا إلى بر الأمان، يا كلنا معا إلى بر الأمان، فالمستحيل ليس سعوديا.

ما زلنا في ظاهرة (تصور) حتى تنتهي!

بندر الزهراني

@drbmaz

لا أظن المسؤولين عن التعليم العالي لا يقتطعون جزءا من أوقاتهم لمتابعة ما يكتب في الصحف المحلية من نقد لأعمال وأنشطة الجامعات، والاستفادة منه أو الرد عليه، وأحسب من النقد تلك المقالات التي تناقش بشفافية ووضوح ما يخص حركة البحث العلمي في الجامعات المحلية، أو ما له علاقة بقضايا الإدارة الأكاديمية، ولا بد وأن وقع نظر المسؤول أو نمى إلى مسامعه النزر اليسير مما يرد في تلك المقالات من نقد هادف، وهي في عمومها مقالات مكتوبة بمهنية عالية، وبوعي ومسؤولية، وموضوعاتها واقعية ومتجددة، وغير متكررة، وتكاد لا تنقطع أسبوعيا.

كتبت ميقان ميزلي وهي مديرة تحرير سابق في صحيفة ديلي كاليفورنيان مقالا عنونته بـ(Citations for Sale) تناولت فيه بوضوح البرامج البحثية لبعض الجامعات المحلية، واستعرضت (إيميلات) متبادلة بين أساتذة محليين وأمريكيين، وعرضت ردود وآراء بعض الأساتذة الأمريكيين حول تقدم هذه الجامعات على حساب جامعات أمريكية ذائعة الصيت كجامعة بيركلي، وأتذكر أنني حال نشر ميقان مقالها تواصلت فورا مع مدير إحدى الجامعات المعنية بالمقال، فرد علي بقوله: إن الجامعة تعمل بسواعد أبنائها المخلصين! في إشارة إلى أنه وفريق عمله مخلصون.

وخلال ثمان سنوات، أي من بعد نشر مقال ميقان، حاولت أن أجد السواعد المخلصة في فريق المدير إياه، فلم أجد إلا (حراجا) من العبث العلمي، أدى من جهة إلى ضجة وفقاعات إعلامية لا أساس لها، ومن جهة أخرى ساعد على تضخم النشر لدى فئة معينة من الأساتذة المحليين، ولم يؤد إلى تطور حركة البحث العلمي إطلاقا، فكان لا بد أن نتحدث عن هذا الوضع بكل شفافية ودون مواربة، إذ لا يمكن أن نرى جامعاتنا تتقدم في التصنيفات الدولية بجهود يشوبها كثير من الشوائب والمخالفات المنافية لأخلاقيات وأعراف البحث العلمي!

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقبل وجود باحث كالمدعو (تصور حياة) يسرح ويمرح عن بعد في جامعاتنا، عن بعد؟! نعم عن بعد، وينال المكافآت المالية والحوافز السخية، فقط ليشير في أبحاثه لدعم الجامعة الفلانية، أو يضيف معه باحثا محليا مترفا بهبات وبدلات الجامعة العلانية، وترتقي هي -أعني الجامعة- في التصنيفات العالمية، ودون أن نسأل عنه ونبحث عن حقيقته، أو دون مراقبة ومحاسبة رسمية للمتورطين معه في هذا العبث!

تصوروا أنتم، بعيدا عن (تصور حياة)، باحثا سعوديا مميزا، نال أعلى الأوسمة، وكرمته الدولة على نشاطاته البحثية المميزة، يدّرس في الجامعة، وفي مجموعته البحثية عدد 4 باحثين سعوديين يحملون درجة الدكتوراه و3 طلاب دراسات عليا، وينشر في العام الواحد مع زملائه على الأكثر 24 بحثا، أي بمعدل 3 أبحاث في السنة للباحث الواحد، وهذا هو معدل النشر الطبيعي للباحث المميز، فكيف بمن ينشر في العام 300 بحث؟! وفي 10 سنوات أكثر من ألفي بحث! ألا تدعو هذه المفارقة الغريبة للتساؤل! بلى، وتدعو للتوقف والمساءلة.

أحد أسباب هذه المشكلة -من وجهة نظري- هي في قيادات البحث العلمي في الجامعات، كيف؟ هذه المرة لن أقول تخيلوا أو تصوروا، بل هو واقع ملموس، في إحدى الجامعات على سبيل المثال وكيل سابق للبحث العلمي والدراسات العليا، أصبح وكيلا للجامعة ورئيسا للمجلس العلمي وهو لم يسبق له أن أشرف على رسالة دكتوراه واحدة! هل أدركتم الآن مستوى الخلل! هذا الوكيل كان يصادق على الترقيات العلمية وإجازة رسائل الماجستير والدكتوراه، وكان يرسم خطط البحث العلمي في جامعته، أفلا نتوقع منه ومن رئيسه ممارسات تنافي الأجواء الأكاديمية ولو في حدودها الدنيا؟!

يا قوم إني لكم ناصح أمين، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، أدركوا جامعاتنا قبل أن تصبح أضحوكة ومادة للسخرية والتندر، فإننا قادرون وعازمون على التغيير واستثمار أموالنا بشكل صحيح وجيد، ولا مجال أمامنا للتجريب أو المراهنة على خطط محفوفة بالفشل، فإن الثمن باهظ، وسمعة الوطن غالية، ومقدراته البشرية وموارده المالية هي أهم وأولى من النجاحات الصورية والإنجازات الوهمية.

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام

مكة
المكرمة • Makkah AlMukarramah

رئيس مجلس الإدارة
عبدالعزيز بن محمد عبده يماني

المدير العام المكلف
ورئيس التحرير
موفق بن سعد النويصر
alnowaisir.m@makkahnp.com

مدير مركز المحتوى الإبداعي
علي حسين بن مطير
muter.a@makkahnp.com

المركز الرئيسي: مكة المكرمة
هاتف: 0125201733 ص.ب 5803
فاكس: 0125203055 الرمز البريدي 21955
فاكس الإعلانات: 0125201423
فاكس الاشتراكات: 0125200734
الاشتراكات: 0504720131
makkah@makkahnp.com

الرياض
جوال: 0500675899 ص.ب 25162
فاكس: 0114066991 الرمز البريدي 11466
فاكس الإعلانات والاشتراكات: 0114066991
gov@makkahnp.com

جدة
هاتف: 0126570402 ص.ب 51787
فاكس: 0122345938 الرمز البريدي 21553
gov@makkahnp.com

المدينة المنورة
جوال: 0506511196
gov@makkahnp.com

الدمام
جوال: 0504178354
gov@makkahnp.com

رقم الإيداع: 1762/1435
ردمد: 1658-6646

الرقم الموحد: 920003453